

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٠٧ - سُورَةُ الْمَاعُونِ

مدنية ، وآيها سبع .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

- [١] (أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالِدِينِ)
- [٢] (فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ)
- [٣] (وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ)
- [٤] (فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ)
- [٥] (الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ)
- [٦] (الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ)
- [٧] (وَيَعْنُونَ الْمَاعُونَ)

« أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالِدِينِ » أى بثواب الله وعقابه ، فلا يطيعه فى أمره ونهييه . قال أبو السعود : استفهام أريد به تشويق السامع إلى معرفة من سيق له الكلام والتمجيب منه . والخطاب للنبي ﷺ . أو لكل عاقل . والرؤية بمعنى العلم . والفاء فى قوله تعالى « فذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ » جواب شرط محذوف ، على أن (ذلك) مبتدأ والموصول خبره . والمعنى : هل عرفت الذى يكذب بالجزاء أو بالإسلام ، إن لم تعرفه أو إن أردت أن تعرفه فهو الذى يدفع اليتيم دفعا عنيفا ويزجره زجرا قبيحا . يقال : دفعت فلانا عن حقه : دفعت عنه وظلمته « وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ » أى لا يحث غيره من ذوى اليسار على إطعام المحتاج وسد ختمه . بل يبخل بسعيه عند الأغنياء لإغاثة البؤساء .

قال الشهاب : إن كان الطعام بمعنى الإطعام ، كما قاله الراغب ، فهو ظاهر . وإلا ففيه مضاف مقدر . أى بذل طعام المسكين . واختياره على الإطعام للإشعار بأنه كأنه مالك لما يعطى له

كفى قوله (١) « فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مِّمَّا لَمَّ اللَّهُ بِكُمْ * مِنَ السَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ » فهو بيان لشدة الاستحقاق . وفيه إشارة للنهي عن الامتنان : قال أبو السعود : وإذا كان حال من ترك حث غيره على ما ذكر ، فما ظنك بحال من ترك ذلك مع القدرة ؟

قال الزمخشري : جعل علم التكذيب بالجزاء منع المعروف والإقدام على إيذاء الضعيف . يعنى أنه لو آمن بالجزاء وأيقن بالوعيد ، خشى الله تعالى وعقابه ، ولم يقدم على ذلك . فحين أقدم عليه علم أنه مكذب ، فما أشده من كلام ! وما أخوفه من مقام ! وما أبلغه في التخدير من العصية وإنها جديرة بأن يستدل بها على ضعف الإيمان ورخاوة عقد اليقين ، وقوله تعالى « فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ » قال ابن جرير (٢) : أى لاهون يتغافلون عنها وذلك باللهوعنها والتشاغل بغيرها . وتضييعها أحياناً وتضييع وقتها أخرى . وقال القاشاني : أى فويل لهم ، أى للموصوفين بهذه الصفات ، من دع اليتيم وعدم الحث على طعام المسكين . الذين إن صلوا غفلوا عن صلاتهم لاحتجابهم عن حقيقتها بجهلهم وعدم حضورهم . و (المصلين) من باب وضع الظاهر موضع المضمحل للتسجيل عليهم بأن أشرف أفعالهم وظهور حسناتهم سيئات وذنوب ، لعدم ماهي به معتبرة من الحضور والإخلاص ، وأورد على صيغة الجمع لأن المراد بالذى يكذب هو الجنس « الَّذِينَ هُمْ يَرَاءُونَ » أى يراؤون الناس بصلاتهم إذا صلوا لأنهم لا يصلون رغبة في ثواب ، ولا رهبة من عقاب . وإنما يصلونها ليراهم المؤمنون فيظلموهم منهم فيكفوا عنهم . وأصل المراءاة أن ترى غيرك ويراك . أريد به العمل عند الناس ليتنوا عليهم . أو وضعه الشهاب .

« وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ » أى ما يعان به الخلق ويصرف في معونتهم من الأموال والأمتعة وكل ما ينتفع به ، لكون الجهل حاكماً عليهم بالاستئثار بالمنافع وحرمانهم عن النظر التوجيدي

(١) [٧٠ / المارج / ٢٤ و ٢٥] .

(٢) انظر الصفحة رقم ٣١٢ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبي الثانية) .

وعدم اعتقادهم بالجزاء . فلا محبة لهم للحق للركون إلى العالم الفاني ، ولا عدالة في أنفسهم للاتصاف بالذائل والبعد عن الفضائل ، فلا يماونون أحداً فإن يفلحوا أبداً . قاله القاشاني .

تنبيه :

المعنى بهذه الآيات أولاً وبالذات المنافقون في عهد النبوة . ويدخل فيها ثانياً وبالعرض ، كل من وجد فيهم تلك الخلال الذميمة اعتباراً بالعموم . فالسورة مدنية . ونظيرها في المنافقين قوله تعالى (١) (وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالًا يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا) ولذا قال ابن عباس فيما رواه ابن جرير (٢) : هم المنافقون ، كانوا يراؤون الناس بصلاتهم إذا حضروا ، ويتركونها إذا غابوا ، ويعتمونهم العارية بفضاً لهم ، وهو الماعون .

(١) [٤ / النساء / ١٤٢] .

(٢) انظر الصفحة رقم ٣١٣ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبي الثانية) .